دراسة تحليلية لأساليب التعليم عند عبد الحميد بن باديس في كتابه مجالس التذكير

Analytical study of teaching methods of Abd el Hamid Ibn Badis in his book Madjalis El-Tadhkir

تاريخ الإرسال: 2019/11/20 **تاريخ القبول:** 2020/01/07 **تاريخ:** 2020/01/15

د. سمير نعموني
أستاذ محاضر أ
المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة
namounisamir@hotmail.fr

د. سميرة بداوي
أستاذ محاضر ب
جامعة إبن خلدون – تيارت
samira.badaoui@univ-tiaret.dz

ملخص:

هدفت هذه الدراسة للكشف عن بعض أبعاد المشروع التربوي عند عبد الحميد بن باديس وما تميز به من اعتماده على طرق وأساليب تدريسية حديثة تستجيب لمتطلبات عصره، حيث اعتمد الباحث على عدة مناهج علمية وهي المنهج التاريخي والمنهج الوصفي ومنهج تحليل المضمون، واستخدم أداة تحليل المحتوى لكتاب مجالس التذكير من حديث البشير النذير لابن باديس متحريا الموضوعية والتحقق من صدق الأداة. وقد خلصت الدراسة إلى أن ابن باديس اعتمد على طرق متعددة حديثة منها: المناظرة والحوار بالحجة العقلية والتلقين والتعلم الذاتي والتعلم بالقدوة والتعزيز.

كلمات مفتاحية : التربية; التعليم; أساليب التعليم الحديثة،; عبد الحميد بن باديس.; مجالس التذكير.

Abstract:

The study aimed to identify some dimensions of the educational project in Abdel Hamid Ibn Badis and his characteristics of modern teaching methods that respond to the requirements of his time, The researcher used several scientific approaches which are: the historical approache, the descriptive approach and the context analysis tool , also contextual analysis of Abdel Hamid Ibn Badis' book of Madjalis El Tadhkir from El Bachir El Nadir Speech for Abdel hamid Ibn Basis. The researcher was objective and verified the validity of the tool. The study concluded that Ibn Bdis relied on multiple modern methods including: debate and dialogue with rational proof , initiation, self-learning, learning by example , and rienforcement.

Keywords: Education; Teaching ; Modern teaching methods ; Abdel Hamid Ibn Badis ; Madjalis El Tadhkir.

مقدمة:

جاء ابن باديس في وضع مميز عاشته الجزائر في تلك الفترة، وقد عرف بكونه متعدد الجوانب فقد كان رجل دين وسياسة وفكر وكذلك تربية وهو الجانب الذي سنهتم به في هذه الدراسة، من جهة بحكم تخصصنا ومن جهة أخرى باعتبار أن موضوع التربية والتعليم يعتبر ذا أهمية كبرى، يمكن من خلاله الحكم على تقدم ورقي المجتمعات والحضارات وكذا التنبؤ بمآلاتها ومستقبلها، فالمدرسة هي أهم عامل من عوامل بناء المجتمعات، كما أنها أهم معاول الهدم إذا أريد بها ذلك.

إنّ الدارس لمسيرة التربية والتعليم في الجزائر، يتبين له الدور الكبير والنشاط الواسع لابن باديس خاصة من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث تميز نشاطها بالقوة في كمه ونوعه، وفاق بدون مغالاة نشاط الإدارة الفرنسية في تعليم الجزائريين خلال قرن كامل، لقد استطاعت جمعية العلماء المسلمين خلال أقل من ربع قرن فقط رغم إمكانياتها المتواضعة، أن تحوي مدارسها حوالي خمسين ألف طفل وبنت من أبناء الجزائر، وأن تشيد أكثر من 150 مدرسة وعددا كبيرا من النوادي الثقافية والمساجد الحرة في كامل

أنحاء الجزائر رغم تضييق فرنسا عليها، ومحاربتها سرا وعلانية لمدارسها ونواديها وإغلاقها للعدد الكبير منها بين وقت وآخر، وزجها بالمعلمين والمديرين في السجون والمعتقلات" (رابح تركي عمارة، 1981، ص 394- 395) .

على الرغم من تناول باحثين سبقونا لهذا الموضوع بالدراسة مثل دراسة العياشي عميار، حول الخطاب الباديسي قراءة في المجهود والمردود (2011)، ودراسة محمد بهي الدين سالم الموسومة ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير (1999)، ودراسة مازن صلاح مطبقاني، المتعلقة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية1931-1939م (1988)، وعلى الرغم من تطرق بعض الدراسات لموضوع التربية عند ابن باديس كدراسة علي علواش حول حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية (1984)، ودراسة مصطفى محمد حميدات والمتعلقة بالشيخ عبدالحميد بن باديس وجهوده التربوية (2003)، غير أن معظم الدراسات السابقة كانت دراسات توثيقية، اكتفت بالرجوع للمصادر والمراجع المؤلفة من طرف ابن باديس أو ما كتب حول فكره التربوي، مستخدمة في أحسن الأحوال المنهج التاريخي، وهذا ما دفع بنا إلى دراسة الموضوع من خلال تبني مناهج علمية متعددة كالمنهج التاريخي والمنهج الوصفي وكذا تحليل محتوى كتاب "مجالس التذكير من كلام البشير النذير" باعتباره يحتوى زبدة الفكر التربوي الباديسي.

إن التربية عند ابن باديس هي ذلك الجهد الإنساني الهادف لرعاية الفرد والمجتمع من أجل تحقيق الغاية التي يتطلع إليها الإنسان وهي بلوغ الكمال من خلال مجالاتها المتنوعة والشاملة لجميع جوانب الحياة، وأما التعليم فلم يقتصره على مجرد تلقين المعارف بل يتعدى إلى اكتساب المتعلمين الصفة الأدائية والسلوكية التي تحدثها المعرفة، ونريد من خلال هذه الدراسة التعرف على أساليب وطرق التدريس التي اعتمدها ابن باديس ومدى حداثتها.

وبناء على ما سبق يمكن أن نطرح التساؤل التالي:

-هل اعتمد ابن باديس في مشروعه التربوي على طرق وأساليب تعليمية حديثة تستجيب لمتطلبات العصر؟

أولا: هدف الدراسة

- الاطلاع على مدى اعتماد ابن باديس ومدارس جمعية العلماء المسلمين لمناهج وأساليب تعليمية حديثة بالنسبة لعصره.

ثانيا: منهج الدراسة

اعتمدنا في هذه الدراسة على تحليل مضمون الفصل الأول والثاني من كتاب "مجالس التذكير من حديث البشير النذير" كونه يشتمل على عصارة الفكر التربوي الباديسي، وسيمكننا هذا المنهج من فهم موضوعي ودقيق لمحتوى فكر عبد الحميد بن باديس وأبعاده التربوية.

وخلال تبني المناهج السابقة في هذه الدراسة، تم اتباع الخطوات التالية:

- الاطلاع على ما كتب من دراسات وآراء ذات علاقة بموضوع الفكر التربوي عند ابن باديس.
- قراءة في كتاب (مجالس التذكير من حديث البشير النذير).
- التحقق من موضوعية وصدق أداة جمع البيانات وهي استمارة تحليل محتوى كتاب مجالس التذكير معتمدين في ذلك على صدق المحكمين، وهم 10 أساتذة متخصصين تم اختيارهم من جامعة الجزائر 2 وجامعة البليدة 2 .
- تفريغ نتائج البحث في جداول كمية حتى تسهل قراءتها ثم تحليلها وتفسيرها.

ثالثا: كتاب مجالس التذكير لابن باديس

لقد تم اختيار كتاب عبد الحميد بن باديس، "مجالس التذكير من حديث البشير النذير"، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، قسنطينة،1983،وفيما يلي تعريف مفصل بهذا الكتاب.

الكتاب عبارة عن حلقات في تفسير القرآن الكريم كان ينشرها ابن باديس في مجلة الشهاب. ثم جمعت بعده ونشرت واشتهر بتفسير ابن باديس.ورغم أن ابن باديس قد جلس

في تفسير القرآن الكريم في المسجد الأخضر بقسنطينة حوالي ربع قرن، غير أنه لم يصلنا من تفسيره سوى هذه الحلقات التي نشرها في مجلة الشهاب، ولعل السبب هو أن طلابه لم يدونوا كل شروحاته.

1 محتوى الكتاب وأقسامه: ينقسم الكتاب إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: مجالس التذكير من حديث البشير النذير: يتضمن الأحاديث التي شرحها ابن باديس في مجلة الشهاب.

القسم الثاني: أحاديث في أغراض مختلفة: يتضمن موضوعات تدور حول أحاديث نبوية شريفة نشرت في الشهاب وغيرها....

القسم الثالث: موضوعات متصلة بالسنة: جمعت من مختلف صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

القسم الرابع: موضوعات متصلة بصاحب السنة صلى الله عليه وآله وسلم...

القسم الخامس: الملحقات: تتضمن: درس ختم الموطأ – الاحتفال بختم الموطأ – المصلحون والسنة...

يلاحظ من خلال الرجوع للكتاب أن منهج ابن باديس في التفسير يعتمد على التفسير بالقرآن وبالسنة الصحيحة وإلا فبأقوال الصحابة وأقوال التابعين وإلا فبلغة العرب التي نزل بها القرآن العظيم.

2 أشهر طبعات الكتاب

*نشر أحمد بوشمال من المجالس التي كان يعقدها ابن باديس آيات مختارة من سورة الفرقان فقط، وطبعت بالمطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة سنة1367هـ-1948م مصدرة بمقدمة بقلم العلامة الشيخ محمد البشير الابراهيمي رحمه الله.

* نشر الأستاذ محمد الصالح رمضان بمشاركة الأستاذ توفيق محمد شاهين المصري المجالس في كتاب من 538 صفحة ونشره بدار الكتاب الجزائري بالجزائر وطبع بمطبعة الكيلاني بالقاهرة سنة1384هـ-1964م.

* نشرت وزارة الشؤون الدنية كتاب مجالس التذكير بالجزائر وطبع "بدار البعث" بقسنطينة سنة 1403هـ1983م، وهي الطبعة التي قمنا بتحليل محتوى بعض فصولها.

* نشرت دار الكتب العلمية بيروت سنة 1416هـ-1995م طبعة من الكتاب وعلق عليها وخرج آياتها وأحاديثها أحمد شمس الدين.

* نشر الشيخ أبو عبد الرحمن محمود لقدر الجزائري طبعة عن الكتاب، وقد اعتنى فيها بتخريج أحاديثه وكان ذلك بدار الراية–السعودية.

* طبع الكتاب بالجزائر بدار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم وكان ذلك سنة:1430/ 2009م في جزأين.

إن اختيار كتاب مجالس التذكير بغرض القيام بتحليل محتوى ما ورد فيه في مجال العلم والتربية لم يتم اعتباطيا ولكن تم اختيار هذا الكتاب لكونه اشتمل على النماذج التربوية لفكر ابن باديس، كما اشتملت الأجزاء التي تم اختيارها من ضمن أقسام الكتاب على لب الفكر التربوي الباديسي في مجال التربية والتعليم.

لقد قمنا باختيار الأجزاء التالية بغرض تحليل محتواها:

القسم الأول: مجالس التذكير من حديث البشير النذير: خصوصا المواضيع المتضمنة ابتداء من الصفحة 137 إلى 146 ومن الصفحة 157 إلى 178.

القسم الثاني: أحاديث في أغراض مختلفة: خصوصا المحتوى المتضمن في الصفحات من 187 إلى 196 .

3 تحديد فئات المحتوى ووحداته:

اعتمدنا تحليل المحتوى كأداة تتطلب إتباع مراحل حتى يتم توظيفها في ميدان البحث، وبعد تحديد فئات المحتوى ثم اختيار وحدات التحليل من أهم خطوات تحليل المحتوى، ولهذا تم تحديد فئات المحتوى تم تعريفها وعرضها على مجموعة من المحكمين وهم أساتذة من كلية العلوم الانسانية والاجتماعية من جامعة البليدة2 ومن جامعة الجزائر2. أما وحدات التحليل فقد تم اعتماد وحدتين كأساس للتحليل وفقا لأهداف الدراسة وهما:

- وحدة الكلمة للتعبير صراحة عن النموذج التربوي : الكلمة هي أصغر وحدة من وحدات تحليل المضمون وهي أصغر وحدات العد، بحيث يمكن للباحث إحصاؤها وحصر أهميتها داخل جدول.
- وحدة الفكرة من خلال الجمل التي تعبر ضمنيا عن محتوى الفكرة: وتمثل وحدة الفكرة أو وحدة الموضوع أهم وحدات التحليل وأكثرها استعمالا، وتكون عبارة عن فكرة مثبتة حول موضوع معين تتضمنها جملة أو عبارة مختصرة (عبد الكريم غريب، 1997، ص 133) .

بعد تحديد فئات المحتوى قمنا بترميز المعطيات وتحويل مادة التحليل إلى مادة مصاغة كميا، حيث قمنا باستخراج الألفاظ والأفكار التي لها علاقة بالموضوع المراد بحثه وهو طرق وأساليب التعليم الحديثة.

- صدق استمارة تحليل المحتوى:

حرصا منا على مصداقية النتائج فقد حاولنا تحري الدقة ابتداء من اختيار العينة وفحص مادة التحليل وتعريف المفاهيم الواردة سواء فيما يخص فئات التحليل أو وحداته حيث استعنا في تحديد فئات التحليل بآراء (10) محكمين وهم (04) أساتذة من جامعة البليدة2 و(06) أساتذة من جامعة الجزائر2.فصدق المحكمين كما يعتبره البعض هو أكثر جدوى وتعبير عن صدق الأداة أو التحليل نفسه من مجرد الصدق المنطقي (رشيد أحمد طعيمة، 2008، ص 221). وهذا ما يفسر لجوءنا إلى صدق المحكمين، حيث وافق 70% من الأساتذة المحكمين على فئات التحليل التي تم اعتمادها في هذه الدراسة.

- ثبات استمارة تحليل المحتوى:

للتأكد من ثبات أداة جمع البيانات في هذه الدراسة تم الاعتماد على الثبات الداخلي حيث قمنا بتحليل نفس المادة أي محتوى كتاب "مجالس التذكير" على فترتين تفصل بينهما مدة 10 أيام، ثم استخرجنا الفروق بين تكرارات التحليل الأول والتحليل الثاني فكانت الفروق قليلة جدا مما يدل على ثبات التحليل الذي قمنا به. والجداول الموالية توضح ذلك.

جدول 1: الفرق بين نتائج تحليل المحتوى الأول والثاني لأساليب التعليم حسب ابن باديس كما ورد في كتابه مجالس لتذكير.

أساليب التعليم	المؤشرات الصريحة			المؤشرات الضمنية		
	تكرارات التحليل 1	تكرارات التحليل 2	الفرق	تكرارات التحليل 1	تكرارات التحليل 2	الفرق
المناظرة	11	12	1+	5	4	1-
الحوار بالحجة العقلية	10	9	1-	4	5	1+
التلقين	6	5	1-	3	4	1+
التعلم الذاتي	2	2	00	2	3	1+
التعلم بالقدوة	2	3	1+	2	2	00
التعزيز	0	0	00	2	3	1+
المجموع	31	33	00	18	21	3+

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن الفرق بين التحليل الأول والتحليل الثاني فيما يخص أساليب التعليم التي وردت في كتاب مجالس التذكير لابن باديس كان صغير جدا حيث أنه قدر ب 00 بالنسبة للمؤشرات الصريحة و +3 بالنسبة للمؤشرات الضمنية، وهذا ما يدل على ثبات استمارة التحليل المعتمدة في البحث.

رابعا: عرض وتحليل نتائج الدراسة

اعتماد ابن باديس على طرق وأساليب تعليمية حديثة تستجيب لمتطلبات العصر.

الجدول 2: طرق التعليم حسب ما ورد في كتاب مجالس التذكير.

أساليب التعليم	المؤشرات الصريحة		المؤشرات الضمنية		المجموع		الرتبة
	التكرارات	%	التكرارات	%	التكرارات	%	
المناظرة	11	35	5	28	16	33	1
الحوار بالحجة العقلية	10	32	4	22	14	28	2
التلقين	6	19	3	17	9	18	3
التعلم الذاتي	2	6	2	11	4	8	4
التعلم بالقدوة	2	6	2	11	4	8	4
التعزيز	0	0	2	11	2	4	5
المجموع	31	100	18	100	49	100	

الأساليب جمع أسلوب، وهو الطريق، ويطلق على الكيفية التي يتناول بها المعلم أو المدرس طريقة التعليم أو هو ما يتبعه المدرس في توظيف طرائق التدريس بفاعلية تميزه عن غيره، ومن خلال ما ورد في الجدول السابق يتبين لنا أن ابن باديس اعتمد أساليب ووسائل متنوعة لإنجاح جهوده التعليمية والتربوية وهي :

1 المناظرة: لقد اعتمدنا في تحليل المحتوى على كلمة: المناظرة، ويرى ابن باديس أن المناظرة في العلم والدين والمحاجة بالحق من الأصول الشرعية والكمالات الإنسانية لا يتعالى عنها كبير لكبره، ولا يحتقر فيها صغير لصغره، فالحق هو الحق على أي لسان ظهر، والحجة هي الحجة من أي ناحية قامت، وعلى هذا الأصل حاج موسى آدم وهو أبوه.

ومن حق المناظر أن يذكر كل ما يراه من الحجة الحقة لإثبات قوله ولو كان فيه ثقل على خصمه، وعلى هذا الأصل نسب موسى لآدم الإغواء والإخراج وإن لم يكن من فعله لأنه متسبب عنه.

ومن الواجب على من لاح له الحق في حجة خصمه أن يسكت ويسلم

(عبد الحميد بن باديس، 1983، ص77)

2 الحوار بالحجة العقلية: وهو أحد أساليب التعليم والتبليغ، وإذا قرأت ما قصه علينا القرآن العظيم من مواقف الأنبياء في دعوتهم لقوامهم – رأيت كيف أنهم كانوا يدعون الناس بالحجج والبراهين، والأدلة العقلية الجلية. والحوار يقوم على أساس الفهم وإحكام النظر فيما نسمع ونقول، وفي هذا الصدد فإن ابن باديس كان يحرص على الكيف أكثر من حرصه على الكم، فقد كان يركز بشكل كبير على الفهم وإعمال الذهن وتشغيل قوى المخيلة، أكثر من شحن الذاكرة. يقول ابن باديس: فعلى الناشرين لهدايته، والمبلغين لدعوته. أن يجعلوا القرآن إمامهم وحجتهم ومرجعهم، فإنه هو كتاب دعوة، ومنشور الهداية ومظهر الحجة

(عبد الحميد بن باديس، 1983، ص33-34)

وقد اعتمدنا لتحليل محتوى الكتاب الكلمات: تبليغ ، التبليغ ،حجة .

3 التلقين: المقصود بالتلقين هنا هو الحديث الذي يقوم به المعلم لنقل المعلومات والمعارف اعتمادا على الإلقاء من جانب المعلم، ويقع العبء الأكبر على كاهله في عملية التدريس. يتم بتقديم المعلومات من طرف المعلم، ويتمثل دور المتعلم في الاستماع والترديد والحفظ والاستظهار.

وعلى الرغم من أن نتائج البحوث والدراسات أثبتت عدم جدوى هذه الطريقة اليوم إلا أنها كانت شائعة جدا في السابق.

فالتلقين إذن من بين طرق التعليم القديمة التي كانت ولا زالت تستعمل رغم ارتباطها بالطرق الكلاسيكية في مجال التعليم، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يجلس في المسجد النبوي لأصحابه ويجلسون إليه حلقة فيعلمهم القرآن والحكمة ويعظهم ويرشدهم

(عبد الحميد بن باديس، 1983، ص68)

لقد أجاب ابن باديس النساء ووعدهن يوما يعينه ووفى لهن بوعده فلقيهن في ذلك اليوم وحدهن فوعظهن وأمرهن بأشياء مما علمهن من أمر الدين (عبد الحميد بن باديس، 1983، ص157)

أما الكلمات التي اعتمدت في التحليل: حلقة – يجلسون إليه – يرشدهم –وعظهن– أمرهن.

4 التعلم الذاتي: هو النشاط التعلمي الذي يقوم به المتعلم مدفوعاً برغبته الذاتية بهدف تنمية استعداداته وإمكاناته وقدراته مستجيباً لميوله واهتماماته بما يحقق تنمية شخصيته وتكاملها، والتفاعل الناجح مع مجتمعه عن طريق الاعتماد على نفسه والثقة بقدراته في عملية التعليم والتعلم، وفيه نعلم المتعلم كيف يتعلم ومن أين يحصل على مصادر التعلم. وهو من الطرق الحديثة التي تعتمد على جعل المتعلم ينتج المعرفة ويتعود على تعلم كيف يتعلم والاتجاه الحديث اليوم فيما يسمى بالمقاربة بالكفاءات يقوم على هذا الأساس لأن الغرض منه هو اكساب التلميذ كفاءة التوصل إلى المعلومة أو انتاج المعرفة وتحويل الزخم المعرفي إلى سلوكيات عملية . يقول ابن باديس: ومن عرف أصل الخير سهل عليه إذا تمسك به أن يحصل على فروعه

(عبد الحميد بن باديس، 1983، ص117).

فالتعليم وإعطاء المعارف مباشرة ليس هو مهمة المعلم، وإنما مهمته هو خلق الجو المناسب لتعلم التلاميذ من تلقاء أنفسهم أو من بعضهم البعض على حسب مقولة ابن خلدون "الطفل للطفل ألقن"، أي أن أحسن من يعلم الطفل هو طفل مثله، وعلى هذا الأساس يشير ابن باديس لهذا المعنى من خلال قوله: يتعلمون أما من عرف الحق وتيقن من نفسه الصدق في طلبه واستعان على تحصيله بمن تربطهم به روابط خاصة

(عبد الحميد بن باديس، 1983، ص93).

إن التعلم الذاتي كان وما يزال يلقى اهتماما كبيراً من علماء النفس والتربية ، باعتباره أسلوب التعلم الأفضل، لأنه يحقق لكل متعلم تعلما يتناسب مع قدراته وسرعته الذاتية في التعلم ويعتمد على دافعيته للتعلم ففيه:

- يأخذ المتعلم دورا إيجابيا ونشيطاً في التعلم .
- يمّكن التعلم الذاتي المتعلم من إتقان المهارات الأساسية اللازمة لمواصلة تعليم نفسه بنفسه ويستمر معه مدى الحياة .
- تدريب المتعلمين على حل المشكلات، وإيجاد بيئة خصبة للإبداع .

- المساهمة في عملية التجديد الذاتي للمجتمع .
- تحقيق أحد أهم خصائص التربية حسب الاتجاهات الحديثة وهي استمرارية التربية مدى الحياة .

5 القدوة: القدوة هي الأسوة، أو النموذج العملي الذي يراه المتعلم في المربي أو المعلم، ليوقن ويتحقق بأن ما يُطلب منه من السلوك والأخلاق هو أمر واقعي يمكن ممارسته، فهو يأخذ بالتقليد والمحاكاة أكثر مما يأخذ بالنصح والإرشاد، وعليه فإن انجاح العملية التربوية يتوقف إلى حد كبير على وجود المعلم القدوة، الذي يحقق بسلوكه وممارساته التربوية، المثال الصادق لأهداف المنهج التربوي، المراد إقامته وتحقيقه .

لقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه و سلم أن يقتدي بِهَدْي مَن سبقه من الرسل، فقال: « أولئك الذين هدى الله فبهذا هم اقتد » (سورة الأنعام، الآية 90) وأمر الله المؤمنين بأن يقتدوا برسوله صلى الله عليه و سلم، فقال: « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر » (سورة الأحزاب، الآية 21) وخاطب اللهُ عز وجل رسولهَ والمؤمنين جميعًا بقوله:« لقد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه » (سورة الممتحنة، الآية 4). وهكذا فقد ارتبط التعليم في الإسلام من البداية بالقدوة الحسنة، فكان الصحابة -رضوان الله عليهم- يقتدون بسلوك الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان هو يَطلب منهم محاكاته والأخذ عنه قائلاً: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

وفي هذا الصدد يقول ابن باديس متحدثا عن الإمام مالك –رضي الله عنه-: « فلنا في مالك وغيره من أئمة الهدى القدوة الحسنة في التمسك بهما. فنحتاط لعبادتنا، حتى لا نخلط بين فرضها ونفلها» (عبد الحميد بن باديس، 1983، ص58).

وقوله كذلك: "فقد علمنا النبيان الكريمان كيف يعتمد على الحجة في البداية وكيف يخضع لها في النهاية والقدوة هما صلى الله وسلم عليهما" (الحميد بن باديس، 1983، ص77).

والمعلم حسب ابن باديس ينبغي أن يكون هو نفسه عاملاً بكتاب الله، وأن يقصد من تعليمه الدعوة إلى العمل به قد شروعه في التعليم، وقد كان هو بحد ذاته قدوة للمعلمين.

6 التعزيز الايجابي والسلبي: يؤكد علماء النفس والاجتماع على أن مفهوم التعزيز الإيجابي مفهوم عملي يمكن تطبيقه في كل زمان ومكان، ويشير رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام إلى أهمية هذا المبدأ في أحد أهم مسائل تربية الأولاد ألا وهي تعليم الصلاة ، فيقول صلى الله عليه وسلم : « مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين»، ويلاحظ في هذا الحديث كيف ترك الرسول صلى الله عليه وسلم فترة ثلاثة سنوات لاستخدام كافة وسائل التعزيز الإيجابي المتاحة لترغيب الأبناء على تعلم الصلاة، قبل اللجوء إلى العقاب بالضرب وهو أحد وسائل التعزيز السلبي.

إن مبدأ التعزيز الإيجابي يعتمد أساساً على صناعة الرغبة الداخلية للسير نحو الهدف بأقصى سرعة، ومع أن كلمة "التعزيز" لم ترد صراحة في الفصول التي قمنا بتحليلها لكنها وردت ضمنيا في موقعين في كتاب مجالس التذكير هما:

الموقع الأول: إن تكرر العمل بمقتضى خلق من الأخلاق يقويه ويثبته وأن العمل على مقتضى ضده يضعفه ويزيله، وهذا أصل عظيم أيضا في التربية يعلمنا أن التساهل **في الأعمال السيئة** ولو كانت في نظرنا طفيفة يفضي بنا إلى استعصاء داء الرذيلة، وأن القيام بالأعمال الحسنة ولو كانت طفيفة يبلغ بنا رسوخ الفضيلة (الحميد بن باديس، 1983، ص117-118).

الموقع الثاني: الأخلاق الفاضلة التي هي موجودة في فطرة الإنسان بأصولها وتنمو بحسن التربية، وتنطمس بالإهمال، قد حفظها الله تعالى علينا بما وفقنا إليه من الإسلام، وما علمنا من آداب، وما شرعه لنا من أعمال، ومما ينمي تلك الأخلاق ويقويها المداومة على الأعمال التي تنشا عنها (عبد الحميد بن باديس، 1983، ص117-118).

من خلال ما سبق يتبين لنا أن ابن باديس اعتمد على بعض المناهج والأساليب التعليمية الحديثة في عصره، ولقد انتقد أساليب وطرق التعليم كالتلقين واجترار المتون التي كانت منتشرة في بعض المعاهد كجامع الزيتونة في عصره والذي درس فيه مدة أربع سنوات ،حيث سافر إلى تونس سنة 1908م للدراسة وتحصل على شهادة العالمية في العام الدراسي1911-1912،وعمره ثلاثة وعشرون عاما، ثمّ مكث عاما خامسا في تونس قضاه

مدرسا في جامع الزيتونة على عادة الطلبة المتخرجين في ذلك الوقت (مجلة الشهاب، 1939، ص 327).

لقد اعتمد ابن باديس طرقا تعليمية تعتمد على الفهم والحوار المنطقي والاستفهام والتشويق وغيرها وكلها طرق معتمدة اليوم في مجال التربية الحديثة، يقول عبد القادر فضيل "إن طريقة ابن باديس في التدريس تجمع بين القديم والحديث فهو ينطلق مع الطلاب من المتن الذي يطلب منهم حفظه، والاستعداد لتلقي الشروح عليه، وأثناء الدرس يطرح عليهم أسئلة، ويدفعهم إلى التحليل والمناقشة، وينمي فيهم ملكة الحوار، والانتباه الدائم واليقظة المستمرة" (عبد القادر فوضيل؛ ومحمد الصالح رمضان، 2010، ص 236).

يقول أحد طلبته واصفا طريقة تدريسه: « وتكاد تكون ملكة التفهيم أبرز صفاته، وأخص نعوته، يختار طريقة الحوار والمراجعة والاستفهام والاستنطاق، ومن أخص صفاته كذلك أنّه لا يشعرك بثقل القواعد، وجفاف الحقائق العلمية، بل يفيض عليك من روحه الأدبية وحياته الاجتماعية، ونشاطه المستديم ما يكسبك نشاطا ومرحا، ورغبة في العلم وتعطشا له » (مجلة الشهاب، 1939، ص 263).

ويشير التربويون المحدثون إلى أن من أهم خصائص الأسلوب التعليمي الناجح أن يكون متماشيا مع نتائج الدراسات و البحوث التربوية والنفسية الحديثة ، والتي تؤكد على ضرورة اشراك المتعلمين في النشاطات والحوار والمناقشة، وأن تتوافق وأهداف التربية التي ارتضاها المجتمع ومع أهداف المادة الدراسية، وضرورة مراعاة مستوى نمو المتعلمين والفروق الفردية بينهم، فقد يستخدم المعلم و المربي الناجح أكثر من أسلوب و طريقة في أداء واحد.

وقد عمل ابن باديس من خلال اللقاءات التي كانت تجمعه مع معلمي وعلماء الجمعية على نشر هذه الأساليب التعليمية واعتمادها في مدارس جمعية العلماء المسلمين حتى أصبحت هدفا ومسعى لها، وفي هذا الصدد يقول البشير الإبراهيمي : « جمعية العلماء جمعية علمية دينية تهذيبية، فهي بالصفة الأولى تعلم وتدعو إلى العلم وترغب فيه وتعمل على تمكينه في النفوس بوسائل علنية واضحة لا تستتر» (محمد البشير الابراهيمي، 2008، ص 72).

بل إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تكتفي بنظام التعليم وطرقه وأساليبه بل اهتمت حتى بطراز مدارسها المعماري الجميل حيث راعت فيها ضرورة الجمع بين روعة الفن المعماري الإسلامي من ناحية، وبين ذوق العصر الحديث ومتطلباته الصحية العامة، والنشاط الرياضي والاجتماعي للمتعلمين من جهة أخرى بحيث تكون في مجموعها وحدة معمارية في غاية الروعة والجمال والذوق الرفيع. وقد كان القصد من توحيد فن المعمار الهندسي لمدارس جمعية العلماء هو تكوين جيل متحد في الذوق والأفكار والاتجاه العام (رابح تركي عمامرة، 2011، ص 393).

فلقد حاول العلماء المصلحون برئاسة ابن باديس تحديث المدارس من حيث بناؤها وهندستها والوسائل المادية الموجودة بها والمساعدة على العملية التعليمية من غير أن تبعث النفور في نفوس مريديها خاصة التلاميذ الصغار، كما سعت إلى تحديث طرق التدريس وإعادة النظر في البرامج والمواد التعليمية في جميع المراحل لتحقيق هدف وغاية التعليم المكتبي الذي عبر عنه بكل صدق أحد أساتذة مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، وهو الأستاذ محمد العابد حيث قال: "معلوم أن الغرض من التعليم المكتبي هو تعليم الأطفال بالمكاتب اللغة العربية، وهي:

- الصلة بينهم وبين أسلافهم.
- الكنز الذي حفظ لهم تراث ذلك السلف.
- اللغة التي لأسلافهم بها شهادة الخلود.
- لسان الثقافة الإسلامية.
- لسان القرآن الكريم والسنة الشريفة الذين هما أصل تلك الثقافة.

...والغرض من التعليم العربي هو أن يكون في الجزائر وسطا مثقفا لسانا وفكرا وروحا بالثقافة الإسلامية العربية... واليوم الذي نرى فيه:

- أقلاما تجول في مختلف الميادين.
- ألسنا تنفجر عن ينابيع الحكمة.
- شبابا يعتز بلغته.

- عامة قادرة على التمييز بين الإسلام والخرافة وبين الحق والباطل.

في ذلك الوقت فقط نكون قادرين على إقامة الحجة على خطأ من يرمينا بالكسل والقعود عن واجباتنا (عبد القادر فوضيل؛ ومحمد الصالح رمضان، 2010، ص 33-34).

ولقد كانت الجمعية برئاسة ابن باديس تعقد مؤتمرات دورية يتبادل فيها العلماء والأساتذة والباحثون الآراء ووجهات النظر، ويتعرضون فيها للمشاكل والصعوبات، ويتناقشون لإيجاد الحلول من أجل تحسين وتطوير التعليم خاصة في جانب البرامج والمناهج والأساليب.

قال الإبراهيمي في محاضرة له أثناء الاجتماع العام للجمعية سنة 1934م: "... وأمامنا سبيلان ستتخذهما الجمعية من وسائلها لغايتها من الإصلاح العلمي، أولهما: مؤتمر سنوي تعقده بالعاصمة العلمية مدينة قسنطينة يحضره كل القائمين بالتعليم من أعضائها العاملين، لتتبادل الآراء، وتتلاقح الأفكار، وتستفيض المباحث عن أصول التربية والتعليم وأقوم طرائقهما، وعن الأساليب والكتب التي تجمع بين العلم والعمل، وسيكون من نتائج هذا المؤتمر توحيد التعليم، وهو الرغبة التي لم تزل مناط آمال المصلحين بهذا الوطن.

وثانيهما: عكاظ علمي سنوي تقيمه في مدينة الجزائر على إثر اجتماعها العام، وتمتد أيامه إلى ما فوق الأسبوع، ويلقى كلّ أعضائها العاملين محاضرات ليتمرنوا على الخطابة في مواضيع الدعوة والإرشاد (أحمد طالب الابراهيمي، 1، ص 5).

ومن ذلك مثلا المؤتمر الذي انعقد سنة 1937 طرحت فيه المسائل التالية:

- وسائل توحيد التعليم.
- أسلوب التعلم.
- أسلوب تربية الناشئة.
- خلاصة تجاربهم في التربية والتعليم.
- الكتب، وهل الأحسن اختيار كتب مصرية، أو تأليف كتب تتفق مع الروح الجزائرية.
- رأيهم في تعلم البنت المسلمة ووسائل تحقيقه.
- التعليم المسجدي، ووسائل تنظيمه وترقيته.

- رأيهم في الوسيلة التي تعيد بها المرأة المسلمة سيرة سلفها من تلقي العلم.
- تقارير مفصلة لدرجة إقبال الأمة على التعليم بأقسامه السابقة (جريدة البصائر، 13، ص 153).

خلاصة

يتبن لنا من خلال هذه الدراسة أن ابن باديس اعتمد على مناهج وأساليب تعليمية حديثة في عصره،منها: المناظرة ، والحوار بالحجة العقلية ، والتلقين ، والتعلم الذاتي، و التعلم بالقدوة، والتعزيز.

يشير التربويون إلى أنه حتى يكون التعليم فعالا لابد أن يتوافر في العملية: متعلم لديه استعداد لاكتساب المادة العلمية ،ومادة علمية نريد اكسابها للمتعلم تتناسب و قدراته العقلية والنفسية والحركية، ومعلم ناجح وهو الذي تتوافر فيه خصائص وكفاءات معينة ولعل من أهمها أن يحسن اختيار طرق وأساليب التعليم الفعالة.

من خلال ملاحظة هذه الأساليب يتضح لنا أن ابن باديس قد اعتمد على بعض الأساليب التي كانت مستعملة في وقته، كما أنه اعتمد طرقا جديدة بالنسبة لعصره.

فقد جمع ابن باديس بين طرق مألوفة في عصره كحفظ المتن في البداية ثم استعمال طرق حديثة كالحوار والتعلم الذاتي لشرح المتن واستساغة محتواه للمتعلمين، وقد يكون لهذا الأمر علاقة بجمعه بين طريقة أهل المغرب في تركيزه على القرآن الكريم، الذي هو أساس تعليم الدين والتفقه فيه، وبين طريقة أهل الأندلس في تعلم الشعر وقوانين العربية، والحساب والصنائع اليدوية، مشيرًا بذلك إلى ضرورة ربط المواد الدراسية بحاجات المجتمع ومتطلباته.

لقد كانت أفكار ابن باديس في مجال المناهج وطرق التعليم من صميم الفكر التربوي الحديث، ولعل سبب إدراك ابن باديس لهذه الآراء التربوية الحديثة، يرجع إلى اهتمامه بالبحث والنظر العميق وفهمه للنفس البشرية من خلال الدراسات القرآنية ومطالعاته للكتب الحديثة ونظرته الواقعية للأشياء، والتصاقه بواقع مجتمعه الذي جعله يستخلص كثيرا من الأفكار ويجتهد في استنباط الأحكام، وقد كان لحسن اختيار ابن باديس للطرق والأساليب المناسبة في مجال التربية والتعليم أثار إيجابية برزت في نوعية مخرجات مدرسة الباديسية، وفي هذا

يقول الإبراهيمي: "وقد كانت لدروس الأخ الأستاذ ابن باديس –ولا نكران للحق- أقوى الآثار في تكوين هذه الملكات وتقويم هذه الألسنة وتثقيف هذه الرماح، فمن تلامذته كتاب القطر اليوم، ومن تلامذته شعراء القطر اليوم، ومن تلامذته المفكرون والدعاة الذين هم دعائم الحركة الإصلاحية" (أحمد طالب الابراهيمي، 1، ص 153).

ولقد خلصنا إضافة إلى ما سبق إلى بعض النتائج التي نوجها فيما يلي:

- ابن باديس هو نموذج نادر من علماء التربية الإسلامية البارزين في العصر الحديث حيث حفظ للفرد الجزائري انتماءه العربي الإسلامي في مرحلة حاسمة من تاريخ الجزائر، وواجه بحكمة وشجاعة إحدى أعتى القوى الاستعمارية الحديثة.

- أن جهود عبد الحميد بن باديس في مجال التربية والتعليم متميزة ومساهمته الإصلاحية في ذلك موفقة، فلقد آمن بأنّ الطريق إلى إصلاح المجتمع الجزائري هو الإصلاح التربوي، فأفنى حياته في هذا الطريق، واعتنى بإصلاح التربية والتعليم، وأثمر فكره ومنهجه أجيالا كانت قدوة ومثالا يحتذى بها وحفظت للمجتمع الجزائري مقوماته و ثوابته.

لقد كانت التربية عند ابن باديس بمثابة الجهد الإنساني الهادف لرعاية الفرد والمجتمع من أجل تحقيق الغاية التي يتطلع إليها الإنسان وهي بلوغ الكمال، كما أن التعليم عنده لم يقتصر على مجرد تلقين المعارف، بل يتعدى إلى إكساب المتعلمين الصفة الأدائية والسلوكية التي تحدثها المعرفة، لذلك فهو حين يتحدث عنه لا يفصله عن التربية بل يجعله أحيانا مرادفا لها، وهو المفهوم الذي استعمله القرءان.

لقد طرح عبد الحميد بن باديس مجموعة من المواضيع التربوية في مجال المناهج والأساليب هي من صميم توجهات التربية الحديثة، كانتقاد الأساليب القديمة مثل أساليب التلقين والاهتمام بالجوانب الشكلية والخلافات القديمة التي لا ثمرة منها، وضرورة النظر في البرامج ووجوب مناسبتها لاستعدادات التلاميذ، وضرورة ترويض التلميذ على الاعتماد على نفسه، والبحث والتفكير والمناقشة، وأهمية العلاقة بين المعلم والمتعلم، ونوع تكوين المعلم، وغيرها من المسائل التربوية المهمة.

قائمة المراجع:

- الإبراهيمي أحمد طالب ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء1، دار الغرب،الجزائر،1997.
- الإبراهيمي محمد البشير ، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر،2008، بن باديس عبد الحميد ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر،1983.
- جريدة البصائر، السنة الثانية، عدد8، سبتمبر 1937.
- طعيمة رشيد أحمد ، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، دار الفكر العربي، القاهرة،2008.
- عمامرة رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- غريب عبد الكريم ، منهج وتقنيات البحث العلمي –مقاربة ابستمولوجية-، منشورات عالم التربية، المغرب،1997.
- فضيل عبد القادر ؛ ورمضان محمد الصالح إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة، الجزائر،2010.
- مجلة الشهاب، جزء7، مجلد15، أوت 1939.